مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد12 / العدد: 01 (2024)، ص: 254-269

مبدأ القابلية للتكذيب بين كارل بوبر وبول فاير اباند

The principle of falsifiability between Karl Popper and Paul Feyeband

قروش فتيحة[1] ، بن دحمان حاج[2]

[1] المركز الجامعي نور البشير البيض (الجز ائر)، f.karrouche@cu-elbayadh.dz

[2] جامعة أحمد زبانة غليزان (الجز ائر)، bendahmane.hadj@gmail.com

تاريخ الاستلام:26/10/2023 تاريخ القبول:20/02/2024 تاريخ النشر: 03/03/2024

ملخص:

إنه ومن خلال هذه الورقة البحثية البسيطة، حاولت أن أوجد نظرة حول القابلية للتكذيب، بإعتباره مبدأ فلسفي وضع بصمته في تاريخ فلسفة العلوم ، وخاصة نهاية القرن 19. لاسيما مع ظهور التفسيرات الكونية(نظرية النسبية) والتي جعل منها فيراباند محطة مهمة وخاصة في نقده اللاذع للمشروع البوبري، فكارل بوبر إعتبره بمثابة أساس للكشف عن صدق وبطلان النظر العلمي، وكذلك جوهرا للتميز بين ما هو علمي وما هو لا علمي أما فيرابند فقد كشف عن جانب آخر في ميدان الفكر ، وهو التعدد المنهجي ودحض كل ما هو مطابق بمنهج وحيد، وفي نظره أن المنهج الحقيقي هو المبني على اللامعقول والإنفتاح.

كلمات مفتاحية: النظرية-الصدق- الكذب _ التعددية المنهجية – الرفض

Abstract

Through this simplepap ,I tiued to take a look at falsehood, as a philosophicalimitiator in the history of the philosophy of science, especially the end off the 19thcentury. Lasima with the emergence of cosmic interpretations (théorie of relativity), which made layraland an important stop, especially in his vitriolie critique of the buleriproject, carl popper remined

it as doses for reviling the essence of distinguishing between what is scientific and what is not scientific, kairabande revealed another aped in the field of thought, which is the systemic multiplicity and rebuttal of everything that is identical to a single approach and in his knew I am the curriculum.

Keywords: the theory, Rejection, lying, methodological, honesty.

***المؤلف المرسل:** قروش فتيحة

1. مقدمة

مما لاشك فيه أن الهدف الأساسي من البحث العلمي هو الكشف عن الحقيقة في مختلف الميادين سواء كانت علمية أم فلسفية، وإن أي درس في تاريخ الفكر الفلسفي عموما و العلمي خصوصا يلاحظ ثراء فكرنا الفلسفي لاسيما مع ظهور تيارات فكرية متباينة، فبعد ما اتجهت الابستمولوجيا المعاصرة ال مواكبة كل التحولات والتطورات في مجال المعرفة العلمية المعاصرة خصوصا منها في مجال العلم الطبيعي، وبما إن المعروف عن الابستمولوجيا هو دراستها للعلم دراسة نقدية خصوصا ما تعلق بآلية ووسائل إنتاج المعرفة، فإن أهم القضايا والمفاهيم لتي اهتم بها فلاسفة العلم والابستمولوجيين المعاصرين ارتبطت بالمنهج العلمي والنظرية العلمية الكاذبة، وأشهر هاته التيارات فلسفة كارل بوبر، الذي إستطاع وضع بصمة تاريخية من خلال منهجه العلمي وخاصة مبدأ القابلية للتكذيب، حيث يعبر عن قفزة نوعية نحو عالم الفكر أين انتقل فيها الفيلسوف من عالم التفكير الدوغمائي المحدود إلى عالم الانفتاح والتطور.

وفي مقابل ذلك ظهر تيار آخر مناقض ومخالف ألا هو التيار الفيرباندي، الذي قلب موازين فلسفة كارل بوبر وخاصة أنه اعتبرها بمثابة تيار عقيم قائم على

أسس ومبادئ تقليدية وخاصة في حديثه عن الاستدلال والمنهج العلمي، وهذا ما أثبتته الكثير من مؤلفاته وخاصة ضد المنهج.

ومن هنا يمكننا القول إذا كان مبدأ القابلية للتكذيب هو مبدأ مشترك بين كل من كارل بوبر وبول فايراباند، فكيف نظر كل منهما إلى هذا المبدأ ؟

2. التمييز بين القابلية للتكذيب و التكذيب

قبل الحديث عن مفهوم القابلية للتكذيب عند الفيلسوفين، يجب أولا التمييز بين القابلية للتكذيب و التكذيب، ومنه "طرحت قابلية التفييد كمعيار ليس إلا العلاج التجريبي منظمة قضايا ما، وبجب علينا وضع قواعد تحدد متى يمكننا اعتبار أنظمة مقيدة"، ونقول عن نظرية ما أنها فندت في حالة واحدة وهي عندما تعترف بقضايا قاعدية تتناقص وهذه أنظمته، وهذا شرط لازم ولكنه غير كاف فقد رأينا أن الظواهر الفردية غير المستعارة لا تكتسي أي أهمية علمية، وكذلك الأمر عندما تتناقض النظرية بعض القضايا القاعدية المنفردة، فإنها غير كافية لاعتبار النظرية مفندة، وإن مايفندها هو وجود مفعول راهني للنظرية أو بوضع فرضية تجريبية، .... وتسمى بالفرضية ولذا ما تطلبنا لزوم قابلية التثنيد التجريبي لهذه النظرية، فإننا لا نقصد بذلك إلا علاقتها المنطقية بقضايا قاعدية، أي هذا التطلب من يتطلبه بالشكل المنطقي للفرضية، وعلى العكس من ذلك، فإن التأكد من صحة الفرضية وتعزيزها لا يقوم إلا على فحصها بواسطة قضايا قاعدية معترف بها. (كارل، 2007، ص116-117)، معناه أن قابلية التكذيب تمثل وتشكل سمة

للنظرة العلمية، بينما التكذيب يعتبر بمثابة حكم عاى النظرية انطلاقا من مدى تطابقها مع الاختبار التجريبي، وبالتالي فإن القابلية التكذيب لها أسس ومرجعيات فكرية. فكما هو معروف في تاريخ الفكر الفلسفي أن كارل بوبر قد هاجم الوضعية المنطقية.

"وإنه في نظر كارل بوبر يصعب تكذيب أي نسق علمي دون إخضاعه لاختبارات قاسية، ولكن ثمة فرق بين القابلية للتكذيب والتكذيب، برأي بوبر تبقى القضية العلمية في إطار العلم مادامت قابلة للتكذيب، ويكفي بروز حادثة أو مشكلة منقضة لها لتكذيبها ونزع صفة العلمية عنها، ولا يعني ذلك أن التكذيب ينتم ببساطة لأن تكذيب نسق في نظرية لا يؤدي إلى تكذيبها، فلكل نظرية علمية فروضها المساعدة وآلياتها الدفاعية والتحصينية وليس من السهولة إقصائها من السياق العلمي، فالقابلية للتكذيب تنصب على البنية المنطقية للنظرية من جهة إمكانية حملها لمكذب محتمل، أما تكذيب النظرية فيتم عندما نقبل القضايا الأساسية التي تناقضها". (زكريا، 2021، ص146).

فمصطلح قابلية للتكذيب ذو طبيعة ومنطقية خالصة، وقد استعمله بمعنى المعيار أو الحد أو المميز أو المقياس، القابلية للتكذيب تحيل إلى امكانية المنطقية للتكذيب من حيث المبدأ وترتكز على علاقة منطقية بين النظرية قيد البحث وفئات القضايا الأساسية، ومصطلح التكذيب ذو طبيعة عملية لأنه يحيل إلى الدليل التجريبي التطبيقي الحاسم للتكذيب، بالمعنى التي تكون فيه النظرية مكذبة بصفة نهائية، أو بطريقة ناجحة أو قابلة لتكذيب بالبرهان. (زكريا، 2021، ص146).

3. القابلية للتكذيب عند كارل بوبر:

أسس كارل بوبر مبدأ القابلية للتكذيب انطلاقا من مرجعيات وأسس فكرية، فكما هو معروف في تاريخ الفكر الفلسفي أنه قد هاجم سابقيه من الفلاسفة وبالضبط الوضعية المنطقية وخاصة مبدأ التحقق، وبالتالي فقد كان يسعى إلى تحطيم مبادئ هذه الأخيرة حيث يقول "لم أكن أبدا عضوا في حلقة فيينا مثل أصدقائي..... فالواقع أن أتونويرات كان يسميني المعارضة الرسمية" (كارل، 2007، ص215)

وبالتالي نجد أن كارل بوبر رفض كل معالم الوضفانية وخاصة ارتباطها بالمنهج الاستقرائي، حيث نجده جعل من المنهج الاستنباطي كبديل للمنهج الاستقرائي. والقابلية للتكذيب بدل القابلية للتحقق. إذ اعتبره منهج باطل وعاجز في بلوغ اليقين حيث يقول " الاستقراء: أي الاستدلال القائم على ملاحظات عديدة، هو خرافة: إنه ليس واقعة سيكولوجية ولا هو واقعة حياتية، ولا أحد الإجراءات العلمية " (كارل، د.ت، ص31)، ويقدم بوبر مثالا حول سبب رفضه للاستدلال الاستقرائي وخاصة مبدأ التحقق. حيث يفتقد أن القضية المراد التحقق من صحتها يجب تفكيكها إلى قضايا ذرية، وإن كانت القضية الذرية متعينة في الواقع، فإنها تعد صادقة، وصدقها ينتقل إلى القضية الكلية، وبالتالي أمكن تمييز هذه الأخيرة وعدها داخل النسق العلمي، ولكن بوبر يرى أن انتقال الصدق من القضية الجزئية إلى القضية الكلية باطل، لأنه طريقة استقرائية والاستدلال الاستقرائي عاجز.

وتعود أهمية هذا المبدأ في عدة نقاط منها:

"1/تعود بعض الركائز التي يقوم عليها معيار قابلية التكذيب على مرحلة العلم الحديث مثل خطوة الاستبعاد .....الخطأ.

2/ يتجسد هذا المعيار في الأسلوب التكذيب لا التأديبي.

3/ يسمى بالخاصية الكشفية لا التبريرية، كما يعلن بوبر حول هذه النقطة.

4/ شعاره الثورة الدائمة على القوانين العلمية السائدة "(ماجد، 2010، ص07)

فالتكذيب إذا هو عند بوبر صراع مستمر بين النظرية وما يمكن أن نستنتج منها من قضايا أساسية مكذبة، ويتحقق هذا الصراع هدف العلم، ألا هو الاقتراب من الصدق قدر المستطاع، ولو تصورنا نظرية علمية احتوت جميع الاحتمالات والتجارب والملاحظات، إلا أن الواقع غير ذلك تماما، "فالمختبرات والمعامل وأذهان العلماء لازالت قائمة وتبحث باستمرار وهذا ما يترجمه "بوبر" في منهجه التطوري القائم على أدواته النقدية الفريدة" (محمد، 1995، ص174).

معناه أن في نظر بوبر مادامت كل النظريات العلمية قابلة للتكذيب نتيجة التنبؤات و الاختبارات العلمية وبهذا تصبح يقينية، وبهذا يمكننا القول أن استنتاج الفروض والنظريات العلمية لا يتم بالاستقراء، وإنما ينطلق من تخمينات وتصورات ميتافيزيقية قابلة للاختيار، ومن ثمة فرض علمي، ولكن طبقا بعد تجاوزها لمختلف التقييدات و التكذيبات و النقد الموجه لها من قبل الخصوم، وفي هذا الصدد يقول كارل بوبر " لقد قال كبلر بنفسه عشرات المرات على الأقل أن ما يفعله هو محض تقييدات كان يكرر قولها عن الغرض الذي رفضه، والذي لم يكن قدم سوى وقت قصير جدا على وضعه له، أن قياسات تيكو قد فندته ، ومن ثمة يجب عليه ابتكار فرض جديد لتجربته، لقد وصل إذا إلى التقييد أو التكذيب، تكذيب وتقييد فرض المدار الدائري والذي أوصله بعد عدة عمليات من التقييد، والتي أطلق عليها التقييدات إلى فرض المدارات البيضاوية. (زكرياء، 2006، ص15).

ويضيف بوبر " أنه مهما كان عدد الحالات المفردة المؤيدة للحكم " كل البجع أبيض، فإن حالته مفردة سالبة واحدة تقرر وجود بجعة سوداء، يجعلنا نستنج منطقيا القضية " ليس كل البجع أسود (ضيف الله، 2006، ص29)، معناه أن المنهج العلمي في نظره أنه إذا كانت جميع القضايا الكلية صادقة، وبعد مرور وقت استنتاجا قضية واحدة برئيسية كاذبة حينئذ تصبح جميع تلك القضايا باطلة.

ومن خلال ما سبق قد جعل كارل بوبر مبدأ القابلية للتكذيب معيارا للتميز بين العلم و اللاعلم، بمعنى أنه " لكي تتصف العبارات و الأنساق بالصفة العلمية، ينبغي أن تتحلى بالقدرة على تطرح مع ملاحظات ممكن أو ملاحظات يمكن تصورها. (عادل، 2002، ص29).

وعلى هذا المنوال يقول بوبر في منطق الكشف العلمي " يضع العالم سواء أكان نظريا أم تجريبيا قضايا أو أنساقا من القضايا. لم يختبرها تدريجيا في ميدان العلوم الامبريقية، وبصفة خاصة يكون فروضا أو انساقا من نظريات، ويجري عليها

اختبارا في مواجهة الخبرة عن طريق الملاحظة والتجربة. (بوبر، دس، ص30). فالقضايا القابلة للتكذيب هي نظريات علمية، والقضايا الغير قابلة للتكذيب هي نظريات غير علمية.

ويرتبط مفهوم القابلية للتكذيب عند بوبر دائما بتصوره لنمو المعرفة فهي في نمو دائم لا يعرف الاستقرار، ومن ثمة فهي في حاجة إلى نظريات مفتوحة وليست مغلقة، نظريات تكون أكثر قدرة على التطور والتقدم نحو أعلى درجة من الصدق، ولن تكون النظرية كذلك إلا إذا كانت تحوي في ثناياه بعض العناصر أو الآثار التي تحتمل التكذيب، ولن تكون كذلك إلا إذا كانت شاملة وعامة، وتفسر أكبر قدر من الظواهر.

وإذا حاولنا استبعادها كان لزاما علينا الإتيان ببديل لها، والأمر لا يتوقف عند هذا الحد، فالعملية مستمرة في الاتجاه التقدم لاكتساب المزيد من المعرفة، ومع كل نمو نستبعد نظريات ذات درجة العالية من التكذيب، ولن تتصف بذلك إلا إذا احتوت معرفة أوسع من سابقاتها أي لها قدرة تفسيرية أكبر. (خوني، 2006، ص57).

ويرى بوبر أننا نقول عن نظرية أنها مكذبة فقط إذا كنا قد قبلنا قضايا أساسية تناقضها، ورغم أن هذا الشرط ضروري إلا أنه غير كافي لذا اقترح بوبر نوعا من الفروض من المستوى الأدنى أو المنخفض من التجريبية والقابلية للتكذيب يسميه (الفرض التكذيبي أو المكذب المكذب)، أنه إذا اجتاز مزيدا من الاختبارات تم تعزيزه شيئا فشيئا وكل انتصار يحققه هذا الفرض التكذيبي يتحول إلى مؤشر يزيد من تدهور واستبعاد النظرية القائمة حتى يحل محلها في آخر مرة. (خوني، 2006، ص58).

"جعل بوبر من مبدأ القابلية للتكذيب معيارا للتمييز بين العلم واللاعلم لكنها في الغالب لم تخرج عن علاقة التفاعل أو التأثر والتأثير المتبادل بين بوبر وأنصار

الوضعية المنطقية، فقد أمضى القسط الأكبر من حياته العلمية مناقشا ومجادلا لأنصار الوضعية المنطقية، يدافع عن معياره التكذيبي، حيث انشغل كثيرا بالرد على انتقاداته ومهاجمتهم من خلال تكذيب وتفنيد أسهمهم ومبادئهم بدءا من أولوية التجربة الحسية، فالمنهج الاستقرائي ثم قابلية التحقق، وإنتهاءا باستبعاد الميتافيزيقا، فكانت انتقاداته تلك خطوات تأسيسية لمنهجه التكذيبي وتأكيدا لصوابية آرائه الفلسفية" (زكريا، 2021، 128).

وبالتالي فهو يرى أن الاستقراء غير قادر على التمييز بين العلم واللاعلم لأن الوضعيين من خلال معيار القابلية للتحفظ يميزون بين المعنى واللامعنى على ضوء الخبرة الحسية والاستقرار، بحيث يعملون على تفكيك القضية المراد التحقق من صحتها إلى قضايا ذرية، وإن يقين صدق هذه الأخير في الواقع ينتقل إلى القضية الكلية، وبالتالي أمكن تمييز هذه الأخيرة وعدها داخل النسق العلمي. (زكريا، 2021، ص130).

4. القابلية للتكذيب عند بول فاير ابند

لقد أوضحت فلسفة فيرابند" كل شيء مقبول " أن موقف كارل بوبر مبالغ فيه إلى حد ما، إذ نجده قد جعل التطور العلمي مرهون بمنهج وحيد، مرتبط بمدى استجابة النظرية العلمية للاختبار ... وبالتالي فهنا إن صح القول نجد أن كارل بوبر نقد الوضعيين المناطقة ....لأن العلم كما يعتقد فيرابندسبيله وطريقه الحرية و الانفتاح. ومن ثمة تعدد المناهج، وهذا ما أوضحته أغلب مؤلفاته وخاصة ضد المنهج.

ففي البداية كان فيرابندمتوتر بفلسفة كارل بوبر و أفكاره، وخاصة مبدأ القابلية للتكذيب ودافع عنه كثيرا... ولكن سرعان ما تحول موقفه من إعجاب نقض ونقد. فعارض منهج التكذيب ووصفه بالساذج وأنه لم يخرج كثيرا عن دائرة الوضعية المنطقية، ويعتبر بمثابة تحصيل حاصل لما جاء به أنصار حلقة فيينا، ويظهر ذلك جليا من خلال ما قاله فيرابند عن مشروع بوبر. حيث نعته بالمشروع

الفاشل ولا يقبل التكذيب مثل ما صرح به بوبر (هواري، 2000، ص61). بمعنى أن على الرغم من أن فيرابند كان متأثرا ومعجبا بفلسفة بوبر إلا أنه هذا لا يلغي انتقاداته لها "فأحدهما يحاول إلغاء جميع النظريات الغير قابلة التكذيب، ولكن الآخر يدعو إلى إبقائها وخاصة تماشيا مع مبدأه القائم "كل شيء جائز" (هواري، 2000، ص61).

وفي عام 1970 تم نشر مقال من قبل بوبر حيث نجده قد أعلن فيه وصرح وأوضح عن تخليه عن النزعة البوبرية التكذيبية... وانتهل فيرابند كتابه ضد المنهج فرفض ونقد صرامة المنهج العلمي بدءا بالاستقراء الذي يشتبه الوضعية المنطقية مرورا إلى كارل بوبر و أنصار النزعة البوبيرية وخاصة في العقل الابستيمولوجي. ففي نظره أن القول بمنهج ومعيار بتقدم العلوم وتطورها يتنافى مع الممارسة الواقعية حيث يقول" إن فكرة وجود منهج علمي يتضمن مبادئ صارمة لا تتغير وملزمة إلزاما مطلقا فكرة صعبة، وخاصة عند مقارنتها بنتائج البحث التاريخي، إذ لا توجد قاعدة واحدة، مهما بدت ممكنة، أو مستندة إلى أسس إبستيمولوجية واسعة، إلا وتم تجاوزها في وقت من الأوقات". (فيرابند، دس، ص11-12).

وحسب فيرابند"فإن تاريخ العلم يشهد بوضوح أن هناك مناهج متعددة، وليس منهج وحيد، وبالتالي فإن كل منهج مقبول ما دام يتلائم مع طبيعة المشكلة المطروحة للبحث، فيؤدي إلى حلها والإضافة إلى رصيد العلم، أما تكبيل العلم بمنهج واحد محدد، فهذا ضد الإبداع وتناقض طبيعة النشاط العقلاني (الخولي، 1989، ص422). ومنه فإن الفوضوية الفيرابندية قد حملت مشعل النقد والدحض للمنهج العلمي بصفة عامة والقابلية للتكذيب بصفة خاصة، وهذا ما أثبتته نظرية المعرفة عند بول فايراباند، وبالتالي فكارل بوبر وقع نفس وقعة الوضعية المنطقية، فهو جعل هذا المبدأ وحيد في التمييز بين ما هو صادق وما هو كاذب. فهذا المبدأ حتى

ولو كان يصلح لبعض النظريات، على اعتبار كل شيء مقبول على حد تغيير فيرابند، إلا أنه لا يصلح لاختبار كل النظرية (محمد، 2022، ص21).

وإن فيرابند لا يرى في تجاوز أو مخالفة قواعد المنهج العلمي أمرا عارضا فالتقدم العلمي في نظره هو إزاحة لنظريات قائمة. لتحل محلها نظريات جديدة. وغالبا ما تتضمن هذه العملية عناصر لا عقلانية لا يمكن تبريرها، والعلماء الذين ينجحون في إبراز أي تقدم هو أولئك الذين يفكرون بطريقة تخالف الحد من أو ما هو مألوف، أي تختلف طريقتهم في التظهير عن معايير الفكر السائدة في فترة من الفترات. (محمد، 2022، ص13)

ويضيف فيرابند من نقده لبوبر مفاده أن القول بأن قواعد بوبر المنهجية لا تساهم في نمو المعرفة، وإنما في واقع الأمر تعيق هذا النمو، وهذه القواعد باختصار لا فائدة لها بالنسبة للعلم، وهو يدل على ذلك بالنسبة للعلم بقوله" لو تخيلنا أن كلا من كوبر نيكس وخاليليو طبقا بصورة متسقة أمنية قواعد بوبر المنهجية لكن لا تزال تعيش في مرحلة الفيزياء الأروسطية حتى الآن (فيرابند، دس، 20). ويقول أيغتا "إن فكرة المنهج التي تحتوي على مبادئ صارمة لإدارة العملية العلمية تلاقي صعوبة كبيرة عندما تواجه نتائج الأبحاث التاريخية، ونجد إذا أنه لا توجد قاعدة واحدة معقولة قابلة للتقييد مهما كانت مؤسسة إستيمولوجية لا يتم انتهاكها في وقت ما"

إذا كان بوبر يؤكد على رفض وابتعاد النظريات، فإن فكرة فيرابند الأساسية هي استياق النظريات والإكثار منها، فالكثير من الحالات كانت تبدو في بادئ الأمر كاذبة، لكن سرعان ما تتضح فيما بعد أنها ليست كذلك، بعد أن تم تغييرها وتعديلها بواسطة الفروض العينة، وهذا يدل أن العلماء يحتفظون بنظرياتهم رغم وجود أمثلة مضادة لها، أو عدد معين من التقييدات، وقد حققت هذه النظريات المفندة فيما بعد نجاحات باهرة (هواري، 2018، ص140) وكمثال على ذلك فقد تم تكذيب نظرية الجاذبية النيوتينية بواسطة ملاحظات تتعلق بمدار القمر، وبعد ذلك

بخمسين عاما أنهات تلك الملاحظات قبل إلغاء هذا التكذيب نهائيا، بعد إرجاعا لكل عوامل الأخرى مغايرة للنظرية النيوتينية، وبعد ذلك تبين أن هذه النظرية غير متوافقة مع القيم العدية التي تم التوصل إليها في حساب مسار كوكب عطارد، ومع ذلك فإن العلماء لم يتخلوا عنها بسبب ذلك إلا أن هذا التكذيب لم يتوصل أبدا إلى تغييره على نحو من شأنه أن يحفظ نظرية نيوتن.

والفيلسوف الفيراباندي رغم أنه كان ينتمي إلى تيار موازي للوضعانية التي بدأت مع بوبر إلا أنه لم ينحصر على التجربانية المنطقية، بل شمل كذلك المشروع البوبري القائم على المنهج الاستنباطي، متخذا القابلية للتكذيب كمعيار للتمييز بين العلم واللاعلم، معتبرا فلسفة كارل بوبر هي فلسفة ساذجة دوغمائية وخاصة في مسألة التقييد و الدحض و الكشف بين ما هو علمي وما هو لا علمي (هواري، 2018، ص84).

وعلى هذا المنوال نجده يؤكد وبجدارة أن العلم ليس نظاما معرفيا مقدسا يقضي بإنكار كل ما خالفه، وإنما هو نظام عقلاني حر ينمو ويزدهر وفق أنظمة معرفية أخرى، وعلى الرغم من أن العلم ليس دينا فنحن نعامله من منطق ديني بحث (الخولي، 1989، ص222).

يعتبر موقف بول فيرابند من أكثر مواقف الفلاسفة المعاصرين تميزا وجرأة وهو موقف الذي تضمنه كتابه (ضد المنهج)، حيث كانت اعتراضاته على الرؤية الميتودولوجيا المعاصرة للعلم سواء عند الوضعية المنطقية أو الوعي التكذيبية عند كارل بوبر وذلك لأن الخطأ الذي وقعت فيه كلا النزعتين حسب فيرابندهو اختزال العلم في مبادئ وضوابط منهجية محددة تتمثل في (مبدأ التحقق) عند التجريبيين المناطق، ومبدأ قابلية التكذيب عند كارل بوبر، وبالتالي فهو يعترض على التمييز بين القضايا والنظريات العلمية من خلال الاعتماد على منهج أو مبدأ معين نصل إليه من خلال اخضاع النظرية العلمية له إلى الحكم النهائي عليها، إما بأنها صادقة أو كاذبة

على أساس منهجي مثلما نجد مع الوضعية المنطقية أو على أساس منطقي كما فعل كارل بوبر، وبالتالي فإن الخطأ الأكبر الذي وقع فيه فلاسفة العلم المعاصرين حسب بول فيرابند هو المقارنة أو المقايسة بين النظريات العلمية ومنه حديثه عما أسماه (اللامقايسة). (محمد، 2022، ص19).

حسب أغلب الدراسات حول المنهج الفوضوي عند فيرابند فقد شهد هذا العصر انهارا واسعا بفلسفة كارل بوبر عموما والمنهج العلمي خصوصا (القابلية للتكذيب).

فهاته الأخيرة شكلت محورا هاما في الفلسفة البوبرية، والتي كانت تؤخذ في دائرة كرافت (مؤسسها فيرابند)، ولكن فلسفته وجت نقدا لاذعا للمنهج العلمي ككل على اعتبار أن تلك الفلسفة أصبحت عائقا أمام تقدم العلم. (فيرابند، د.ت، ص08).

"ويصر فيرابند في إحدى مؤلفاته على الطابع الإنساني والنسبي في بناء النظريات العلمية، وهذا مفاده أن لا يجعل من الإنسان حسي وأسير نظريات محددة يعيش في ظلها طوال حياته، معتقدا بأنها هي وحدها التي تتمتع بصفات "الصدق"، "الحق"، "الواقعية"، بيد أن تلك الصفات ذاتها نسبية هي الأخرى وتختلف من ثقافة لأخرى ومن زمن لآخر، وطبقا لفيرابند فإن الإجراءات التي نحتكم إليها لتقرير صدق النظرية أو كذبها يجب عليها أن تشد رحالها وتقتلع من جذورها من بين المتطلبات ابستمولوجية المألوفة للنظريات".(عادل، 2002، ص21).

ويعتقد فيرابند أن التأكيد على القابلية للتكذيب يعد رؤية واحدة بين كثير من الرئ في لعبة العالم، وينتقد مقولة بوبر في أن معيارها يمثل دورا رائدا في العلم فيقول: إن معرفتنا بهذا الدور الرائد يتطلب معرفة نسبة تلك التغيرات النظرية الثورية التي مثل فيها التفنيد دوره إلى جملة التغيرات النظرية الثورية، التي يعمر بها التاريخ العلم وإذا كانت الشواهد التي يذكرها بوبر كثيرة لصالح معياره، فإن فيرابند

يقول إن في ذلك تشويها للواقع ويركز نقده فيما يتعلق بشواهد بوبر على النقاط الثلاث: (عادل، 2002، ص88).

- "ليست الشواهد التي يسردها بوبر بدليل على التفنيد.
- إن قائمة بوبر التي يبرز فيها الحالات التي تبدو تتبع منهج التفنيد هي غالبا حوادث معقدة يكون دور التفنيد فيها ضئيلا.
- إن الأمر غالبا ما يستغرق وقتا طويلا لقبول التكذيب، ويحدث هذا القبول بوصفه نتيجة للتغيرات النظرية والذي هو طبقا لبوبر نتيجة للتكذيب". (عادل، 2002، ص88).

وتعود أهمية بول فيرابند في التقدم العلمي في دعوته إلى احترام التعددية التي تعني عنده الفوضوية واللاسلطوية المعرفية، فسمية فلسفته "باللاعقلانية الفوضوية"، إنها عقلانية متفتحة يرفض أن يؤسس العلم على قواعد صارمة والغرض من ذلك فتح مجال البحث أمام أنماط وأصرار وأساليب أخرى من التفكير، ساهمت في عملية بناء العلم، واي محاولة تقوم على المنهج الواحد الصارم الذي يدعي اليقين سوف يعيق العلم الإبداعي ويثبط العزائم ويكون سببا في عرقلة التقدم العلمي، فكل قواعد التي يدافع عنها علماء وفلاسفة العلم باعتبارها شكلا تنظيميا للمنهج التعليمي عديمة النفع. (هواري، 2017، ص60).

وهنا يستشهد فيرابند بتاريخ العلم ليضيف بعض الدلائل ليؤكد عدم جدوى النظرية الكوبرنيكية إذ افترض هذا الأخير أن الأرض تدور حول محورها فقد فجر مشكلات ديناميكية عديدة كانت ستطيح بهذا النسق إلى ما لانهاية، فلو افترضنا أن الأرض تدور حول محورها لكانت كل نقطة عليها تنتقل بسرعة عظيمة، وبالتالي فلو رمينا بحجر من فوق صومعة فإنها تسقط بعيدا عن النقطة العمودية لها، لكن الواقع يثبت غير ذلك، ومن ثمة يمكن اعتبار هده النظرية مفندة. (هواري، 2018، ص141).

معناه أن فيرابند يصر على الانفتاح والتحرر في العلم ولكنه يدعو إلى مدى تحقق هذه النظرية أو تجربة على أرض الواقع، وإن هذا الطرح مقبول ومنطقي مادام أنه ينظر في مدى تطابق الفكرة مع الواقع الحسي، وهذه صفة من صفات العلم، وطريق نحو الموضوعية.

وعموما فإن فكرة فيرابند الأساسية هي إبقاء النظريات والإكثار منها، وإذا كان فيرابند لا يتحدث عن نموذج كما يتحدث كون فإنه يشير إلى أن النظرية قد تطوق بعدد من النظريات المساعدة القديمة أو المفندة التي يدعونا بوبر بالتخلي عنها، ومن هنا قد يبدو لنا أن نظرية محددة كاذبة، بينما يتضح بعد فترة من خلال النظريات الأخرى المساعدة أنها بيس كذلك، وينتهي فيرابند من نقده لبوبر إن قواعد بوبر المنهجية لا تسهم في نمو المعرفة، وإنما في واقع الأمر تعيقه وهذه القواعد باختصار لا فائدة لها بالنسبة للعلم.

يتضح مما سبق أن فيرابند يصر على نسبية المعرفة فهي إنتاج إنساني متنوع تجعل كل المحاولات مقبولة ومشروعة، فلا يمكن حصر المعرفة العلمية في مجرد تخمينات أو تفنيدات، فتاريخ العلم يبين أن الممارسة العلمية لا تقوم على الحالات الشاذة أو الحالات الغير متوقعة. (هواري، 2018، ص124).

4. خاتمة

لا يمكن الحديث عن الحديث الابستمولوجيا المعاصرة إلا من خلال الحديث عن العقلانية النقدية عند كارل بوبر لأن أقل ما يمكن أن نقوله عنها أنها أحدثت قطيعة ابستمولوجية سابقة، حتى أنه يمكننا التمييز بين مرحلتين من الابستمولوجيا المعاصرة، مرحلة ما قبل كارل بوبر ومرحلة ما بعده، وهذا ما يدل على القيمة والأهمية الكبيرة لما قدمه بوبر خصوصا ما تعلق بمبدأ القابلية للتكذيب.

وفي الأخير يمكن القول أن مبدأ القابلية للتكذيب بقدر ما هو صالح للتمييز بين النظريات والكشف عن صحتها أو بطلانها، بقدر ما هو قاصر ومحدود، باعتباره

إن صح القول تشويه نوع من الدوغمائية المنافية لسيرورة العلم، وإنه على الرغم من عيوب كلا المنهجين إلا أن هذا لا يلغي دورهما الفعال في النهوض بحركة الفكر، وعلى الرغم من الاختلاف بين المنهج العلمي والمنهج الفوضوي من حيث الطبيعة إلا أن الغاية تبقى مشتركة وبالتالي فالعلاقة بينهما اتصالية وظيفية.

5. قائمة المراجع:

- بن نحي زكريا. (2021). مشكلة استقراء المنهج العلمي النشر الجامعي .تلمسان. الجزائر.
- بوبر كارل .(دس) الحدوس الافتراضية والتفنيدات .دار النهضة العربية. بيروت. ط (1)
- بوبر كارل .(دس). منطق الكشف العلمي .تر. ماهر عبد القادر محمد. دار النهضة العربية للطباعة والنشر .بيروت.
- بوبر كارل.(2001). بحثا عن عالم افضل .تر. احمد مستجير. الهيئة المصرية العامة للكتاب. د (ط).
- بوبر كارل.(2007) .منطق البحث العلمي. تر. محمد البغدادي .مؤسسة الفكر العربي. ط(14).
- الخولي يمنى طريف.(1989). فلسفة كارل بوبر منهج العلم منطق العلم. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. د (ط) .
- زكرياء بن نحي. (2006). مجلة موتون القابلية للتكذيب بوصفها معيارا لتمييز النظريات العلمية .العدد الثاني. قسم الفلسفة. كلية العلوم الانسانية والاجتماعية. جامعة مولاي الطاهر. سعيدة.
- ضيف الله خوني.(2006). المنهج النقدي عند كارل بوبر .(شهادة الماجيستير).قسم الفلسفة. كلية العلوم الانسانية والاجتماعية. جامعة الجزائر.
- عادل عوض. (2002). الابستمولوجيا بين نسبية فيرابند وموضوعية شارلز. دار الوفاء. الإسكندرية.
- فايرباند بول.(دس). ثلاث محاورات في المعرفة. تر. محمد احمد السيد .منشئة المعارف بالإسكندرية.

- ماجد الزهر.(2010). اشكالية معيار قابلية التكذيب عند كارل بوبر في النظرية والتطبيق. منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب دمشق. د (ط).

- محمد بن سباغ .(2022). مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية انتقادات فلاسفة العلم لمبدئ القابلية للتكذيب عند كارل بوبر .. قسم الفلسفة كلية العلوم الاجتماعية. جامعة عبد الحميد المهري. قسنطينة.

- محمد بن سباغ. (2022). انتقادات فلاسفة العلم لمبدأ القابلية للتكذيب عند كارل بوبر. مجلة قيس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، العدد01، جامعة قسنطينة عبد الحميد مهري، قسنطينة.

- محمد محمد قاسم.(1995). كارل بوبر نظرية المعرفة لضوء المنهج العلمي. دار المعرفة الجامعية. ط (1).

- هواري الشادلي. (2018). اللامعقول عند فايرباند دراسة تحليلية نقدية (اطروحة دكتوراه علوم في الفلسفة).كلية العلوم الاجتماعية. جامعة وهران 2.